

تمثّلات القيم الأخلاقية والثقافية في القصة الطفلية
(الدجاجة الصغيرة الحمراء) لـ(كامل كيلاني) انموذجا

Representations of moral and cultural values in the childhood story (the little red hen) of kamel kilani as a model

مصطفى بوجملين

جامعة أم البواقي (الجزائر)

safosafio@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2021-07-25	تاريخ التقييم: 2022-01-08	تاريخ القبول: 2022-06-15
---------------------------	---------------------------	--------------------------

الملخص

شكّلت القصة الموجّهة للأطفال محور الاهتمام عند الأعلام المبدعة والناقدة لها؛ فهي لونها فنيّ تميّزه بناءات شكلية مخصصة. كما أنّ مضامينها الدلالية تتباين حسب أشكالها العديدة؛ من مثل: القصص الدينية، وقصص المغامرات؛ فالأولى تستهدف غرس القيم وتعاليم الدين الإسلامي في نفوس الأطفال وسلوكهم؛ بينما الثانية فتسعى إلى توسيع خيالهم.

وعليه، فإنّنا تخيّرنا نموذجا قصصيا وسم بـ (الدجاجة الصغيرة الحمراء) لـ كامل كيلاني والذي يعدّ أبرز الأعلام الأدبية في مجال الكتابة للطفل؛ إذ سعينا إلى استنباط القيم الأخلاقية والثقافية في هذا العمل الفنيّ الموجّه للطفل؛ ومعاينة جماليات بسطها وتكريسها فيه؛ وذلك عبر تفعيل المنهج الموضوعاتي؛ الذي يكشف لنا الموضوعات القيمة الكبرى في هذا النصّ.

وبخصوص الإشكالية المحورية في هذه التيمة البحثية، فإنّها تتأتى عبر الآتي:
ما مدارات القيم الأخلاقية والثقافية في النصّ الطفلي (الدجاجة الصغيرة الحمراء) لـ كامل كيلاني؟.

كلمات مفتاحية: النسق؛ القيمة؛ النسق الثقافي؛ الصورة التعليمية؛ الصورة النضالية.

Abstract:

The story directed to children was the focus of attention for creative and critical pens; It is an artistic color that is distinguished by special formal structures. Its semantic contents vary according to its many forms; Such as: religious stories, adventure stories; The first aims to instill the values and teachings of the Islamic religion in the hearts and behavior of children. While the second seeks to expand their imagination. Accordingly, we chose a short story model called: (The Little Red Chicken) by: Kamel Kilani - who is considered the most prominent literary figure in the field of writing for children -; As we sought to elicit moral and cultural values in this child-oriented artwork; and examining the aesthetics of its extension and consecration in it; By activating the thematic approach; Which reveals to us the major value themes in this text. Regarding the central problem in this research theme, it comes through the following: What are the orbits of moral and cultural values in the infant text (The Little Red Chicken) by: Kamel Kilani?.

Keywords : system; value; cultural system; educational image ;struggle image

*المؤلف المراسل:

1. مقدمة:

تبوأ (أدب الأطفال) مكانة سامقة في الكتابات الإبداعية والنقدية معا، إذ ارتبطت به وجوه أدبية لامعة، من مثل: أحمد شوقي، وتوفيق الحكيم، وكامل كيلاني... وغيرهم. كما أفردت له مجالات مخصصة، وعقدت -في شأنه- الملتقيات والتظاهرات العلمية؛ ومرد ذلك أنّ الأدب الموجه للناشئة مهم لبناء شخصية متكاملة ومتوازنة تتغذى على القيم والمبادئ، التي يبنيها ذلك الأدب المخصّص لهم.

ولقد كان هناك اهتمام واضح بشريحة الأطفال من خلال تلعيهم وترقيصهم، وقصّ الحكايات لهم. ويمتدّ هذا الاهتمام إلى عصر الجاهلية -حسب بعض الدارسين-. ولكنّ

المتبّع لتاريخ أدب الأطفال في البلدان العربية يجده حديث النشأة من حيث التأليف؛ إذ «أحسن العرب بضرورة إشباع احتياجات أطفالهم الوجدانية والعقلية في مراحل نموهم، فوضعوا لهم التأليف القصصية، والحكايات الخرافية وغيرها من الحكايات. فقصص الحيوان تلعب دورها البارز في تاريخ الأدب الموجه، كما يدلنا على ذلك نتائج علم النفس الارتقائي، فالطفل يولد معه الاستعداد الذاتي للاستجابة والاكتشاف. ومن ثمّ يستوعب الشيء في صفاته الشاملة، لأنّ مشاعره وتصوّراته تزداد مع مراحل نموّه، وتمدّه بطاقة خيالية أروع من أيّ تفاصيل جزئية»¹.

ولطالما كانت وظائف أدب الطفل ذات أبعاد تكوينية وتنظيمية وتثقيفية؛ ذاك أنّه يستهدف إعداد متلقّيه القراء «ليكونوا الجيل التالي من الكبار من خلال تعريفهم على أفكار حول كيفية تنظيم المجتمع من حولهم، وكيف يتلاءم هذا المجتمع مع المنظورات القومية والعالمية، وكيف يؤدي دوره في المستقبل. ولهذا السبب، غالبا ما يشير نقاد أدب الأطفال إليه على أنّه أدب الثقافة؛ إذ إنّهُ يعرّف القراء على عادات وقيم وأنظمة المجتمعات التي ينشؤون فيها»².

ويحسن التنويه إلى أنّ الكتابة للطفل في العالم العربي شهدت صعوبات في إرهاباتها الأولى ذاك أنّ «المراجع العربية الموجودة على قلّمها في هذا المجال، تشير إلى تأخر ظهور أدب الأطفال المكتوب في الوطن العربي مقارنة مع تطوّره وظهوره في البلدان الأخرى فقد أشارت بعض الدراسات إلى أنّ ظهور أدب الأطفال العربي قد تأخّر إلى أواخر القرن التاسع عشر، وقد تأثّر كثيرا بما وصلنا من ثقافة ومؤلفات فرنسية أو انجليزية أو أوروبية بشكل عام»³.

وبخصوص المحدّد التعريفي الذي يؤطر مصطلح (أدب الطفل)، فإنّ مداره المفهومي يكشف عن خصوصية نوعية لهذا الفن الأدبي؛ فهو «الجنس الأدبي المتجدّد، الذي يخاطب عقول الصغار، فهو أدب مرحلة متدرّجة من حياة الإنسان لها خصوصيتها وعقليتها، وإدراكها، وثقافتها، إذ هو أدب الحاضر والمستقبل، وموجه لمرحلة عمرية معيّنة»⁴. ولعلّ هذا التعريف المرتبط بهذا الصنف الأدبي يكشف خصوصية تفردّه عن باقي الأصناف الأدبية

الأخرى؛ حيث «يتخصّص في مخاطبة فئة معيّنة من المجتمع، وهي فئة الأطفال. وقد يختلف أدب الأطفال عن أدب الكبار تبعاً لاختلاف العقول والإدراكات، واختلاف الخبرات نوعاً وكماً. ولكنّ الذي لا خلاف فيه أنّ المادّة الأدبيّة لقصص الأطفال الفولكلورية والتقليدية، والتي ظلّت تحكى لأطفال شعب من الشعوب (...). لم تكن منعزلة عن التيار العام للخيال والصور والتفكير في هذا الشعب بل كانت قصص الأطفال تعبيرات أدبية خالصة صنعا الكبار»⁵.

وانطلاقاً من هذه الموازنة بين أدب الأطفال وأدب الكبار؛ فإنّه حريّ بنا التنويه إلى تعدّد الأنواع الفنيّة لهذا الصنف الأدبي الطفولي؛ كالقصة، والشعر، والمسرح. وهنا، فإنّنا سنخصّص حديثنا في هذه الدراسة عن النصّ القصصي الموجه للطفل؛ والذي يتّسم بمعطيات أساسية وجب الانتباه لها؛ إذ إنّ «من الضروري أن تراعي القصة ظروف كلّ فرد؛ لأنّ الطفل في هذه السنّ لا يستطيع أن يفهم المواقف الغريبة عنه ولو كان اختلافها عمّا يألّفه قليلاً. ومن أجل ذلك فإذا كانت هناك قصّة معدّة لمثل هذه السنّ يجب أن نستبدل بالأسماء الموجودة في القصة أسماء يعرفها الطفل. وكذلك تغيّر الظروف بحيث توافق ظروف الطفل وتجاريه»⁶.

ومن هنا، فإنّ أدب الطفل قد شدّد على وضع معايير الكتابة للطفل، مراعيًا في ذلك المراحل العمرية للطفل، وخصائص كلّ مرحلة، وخصّصت كلّ مرحلة بنصوص تتلاءم مع طبيعة المرحلة العمرية. وعلى الكتاب الذين يكتبون للطفل مراعاة تلك الخصائص.

وبما أنّ هذه المقاربة النقدية تسعى لتقويض البنى القيمية في هذا النصّ الطفلي؛ فإنّ ذلك يستدعي لزاماً التعرّيج إلى المحدّد المفهومي لمصطلح القيم؛ حيث تعرّف بأنّها تلك «المبادئ الأساسية والمعايير المرشدة لسلوك الفرد، والتي تساعد على تقويم معتقداته وأفعاله وصولاً إلى المثل العليا والسمو الخلقى للذات والمجتمع»⁷.

وبخصوص القيم في جانبها الإسلامي، فإننا نلفي (أحمد الشحات) متعرضا للقيم الإسلامية التي هي عنده بمثابة «حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتديا بمجموعة من المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محددا المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك»⁸.

ومما سبق بيانه: فإننا سنعمد إلى تحليل شواهد القيم الأخلاقية والثقافية في قصة (الدجاجة الصغيرة الحمراء)؛ مراعين في ذلك جمالية توظيفها وتكريسها لدى القاص (كامل كيلاني).

2. القيم الأخلاقية:

لا جرم أنّ مكاشفة صور هذا النسق المهم في هذا النصّ القصصي يستدعي حتما تبياننا مختصرا عن المفهوم الاصطلاحي الذي خصّ لمصطلح (الخلق)؛ إذ نجد صاحب (التعريفات) معرفا إيّاه بقوله: «هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلا وشرعا بسهولة سمّيت الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سمّيت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا»⁹.

ولا تكاد الدلالة الاصطلاحية للمفوز الخلق تبتعد كثيرا في (موسوعة الأخلاق)؛ إذ ألفيناه محددا وفق الإطار التعريفي الآتي: «الخلق صفة مستقرة في النفس، فطرية كانت أو مكتسبة ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة»¹⁰.

ولعلّ تأرجح الخلق بين دلالتى (الجمال/القيح) قد جعلنا نقف عند صورتين لهما في قصة (الدجاجة الصغيرة الحمراء)، والمتمثلتان في (التسامح/الاستعلاء).

1.2 الصورة التسامحية:

لا غرو في أنّ الإطار الدلالي للمفوز (التسامح) في المعجم اللغوي العربي يظلّ مرتبطا بمفردتي (السمح/السماح)؛ إذ نلفي -مثلا- (المعجم الوسيط) موردا ذلك وفق الآتي: «سمح- سمحا وسماحا وماحة: لأنّ وسهّل. ويقال: سمح العود: استوى وتجرّد من العقد. و-انقاد

بعد استصعاب (...). سامحه بكذا، وفيه: وافقه على مطلوبه و-بذنبه: عفا عنه. ويقال في الدعاء: سامحك الله (...). تسامح في كذا: تساهل¹¹. وأما المفهوم الاصطلاحي له، فإنه يتلخص في أنه «موقف فكري وعملي قوامه تقبّل المواقف الفكرية والعملية التي تصدر من الغير، سواء كانت موافقة أو مخالفة لمواقفنا»¹².

ويعتبر التسامح قيمة إنسانية نبيلة؛ وهو من المبادئ الإسلامية الفاضلة؛ وحقيقته حب الخير للناس واللين في التعامل معهم، والصفح عن أخطائهم وزلاتهم. ومن الآيات القرآنية المخصوصة لهذه القيمة نذكر -على سبيل الذكر لا الحصر-: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعَفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {سورة التغابن، الآية: 14}

ولقد حرص القاص (كامل كيلاني) على عرض هذه الصورة المشرقة بين الشخصية المركزية ونظيرتها؛ وذلك لتكون مرتكزا قيميا أساسا يأخذ بزمامه الأطفال الناشئة؛ وذلك لأهميته في المراحل العمرية التصاعدية. ولعلّ الشاهد السردي الأبرز في هاته القصة هو تلك اللوحة التسامحية الصافية النقيّة التي أبدعت في رسمها (الدجاجة الصغيرة الحمراء)، إذ نراها باسطة يدها لصديقيها -المتخاذلين عن إعانتها ومساعدتها-؛ إذ كانت يد الجود والنوال موجّهة إليهما، فقد طلبت منهما أن يشاركاها في تذوق الخبز لأنّ مبدأ الجيرة على هاته المعمورة هو مبدأ اجتماعي أصيل، وهذا ما دلّ عليه قولها: «لقد دعوتكما مرة بعد مرة إلى المشاركة والمعاونة. لكنكما أبيتما أن تبدلا معي أيّ جهد في العمل. هل تحسبان أيّهما الصاحبان، أتّي أعاملكما بما تستحقّان؟ سنذوق الخبز معا منذ الآن، لأننا في الأرض جيران»¹³.

فهنا، نلفي لقيمة التسامح موقعا مكينا في شخصية هاته الدجاجة المنجزة؛ إذ لم تحمل شكلا من التشفي أو الضغينة أو الأنانية؛ لأنّها أصرت على أن يقاسمها صديقها ثمرة عملها. ولعلّ الذي زاد هاته الصورة التسامحية ألقا وجمالا هي عبارة (لأننا في الأرض جيران)؛ لأنّ مبدأ حسن الجوار خلق إسلامي رفيع؛ ومهما تنافرت القلوب في بعض الأحيان، فإنّ العمل على جبرها لا يحتاج سوى لين المعاملة وصفاء النفس والسريرة.

2.2 الصورة الاستعلانية:

يعدّ الاستعلاء سلوكاً ذمياً مشيناً؛ فهو التكبر والتعالي على الخلق. كما أنّه الفعل الذي لا يقيم بناءً، ولا يعقد رباطاً طيباً متيناً داخل كينونة الأنا الواحدة. ولعلّ النصوص القرآنية والحديثية والأدبية في شأن هذا الخلق البغيض عديدة؛ وذلك لعظم آثاره السلبية المترتبة عنه؛ فهو معول هدم للعلاقات بين أفراد المجتمع بشقّي أعمارهم وأصنافهم ودرجاتهم. وهنا، نجد الباحث (سلطان رديف) متعرّضاً لهذا الخلق المذموم؛ حيث عبّر عنه قائلاً: «من أكبر المشكلات التي يعاني منها الكثيرون استعلاؤهم بالأسباب التي يمتلكونها وهم لا يعلمون أن الأسباب قد تكون موجودة اليوم ولكنها لن تكون لديهم في غدهم مهما بلغ بهم الأمر فالإنسان في هذه الحياة هو كائن قابل لفقد أي ملكية مهما كانت في يده ومطمئناً لها، بل إنّ هذا الاستعلاء والعجب بما في اليد هو أحد أخطر الأمراض التي تصيب الإنسان في حياته وقد لا يعلم عنها الكثير ويتعاملون مع مثل ذلك بنوع من التكبر النفسي والثقة المفرطة التي قد تكون سبباً في هلاكه بشكل أو بآخر»¹⁴.

ولعلّ معاينتنا لما كتبه (كامل كيلاني) في شأن هاته التيمة الخلقية السلبية عبر هذا النص القصصي قد جعلتنا نقف أمام شخصيتين تجسّدانها، والمتمثلتان في (الديك الرومي/البطة) حيث أشار القاص إلى طابع التكبر والاستعلاء لدى الأول منهما -وذلك بعدما عرض مواصفاته الخارجية؛ والتي تسمها القوة والضخامة-؛ أمّا الثانية، فهي لا تبتعد قيمياً عنه؛ ذاك أنّها هي الأخرى تمتاز بالخمول والبله -على حدّ وصفه لها-؛ وهو الأمر الذي نقرّوه جلياً في المقطعة القصصية الآتية: «أبطال حكايتنا هذه، ثلاثة (...) أولها: ديك روميّ، ضخّم الجسم عظيم الريش، يخطو مزهواً بنفسه، كأنّ الأرض ليس عليها غيره؛ وبين الحين والحين يكركر عالي الصوت دفعة واحدة وينتفخ في مشيته، وينتفش ريشه كأنّه كرة كبيرة. وثانيها: بطّة متكاسلة في سيرها تظلّ طول الوقت، وهي ترسل من حلقها بحّة مسموعة على حين أنّها مطاطنة تنظر في الأرض نظرات بلهاء»¹⁵.

ولقد عرض (كامل كيلاني) المبرّرات الدالة على هذه الصفة الأخلاقية الذميمة؛ حيث نقل لنا الطابع التواكلي الذي وسم شخصية (الديك الرومي)؛ فهو يفتات من غيره، وذلك بديلاً

لسعيه في طلب الرزق؛ وهذا ما أبان عنه الشاهد القصصي الآتي: «ماذا يدعوني أنا إلى بذل العناء والتعب في الزراعة؟ إني ألتقط ما يزرعه غيري بلا عناء ولا تعب»¹⁶.

ويؤكد القاص فضاة هذه الصورة وبشاعتها من خلال الخطاب الساخر الموجّه لها من طرف صديقها؛ وذلك عبر نعتها بلقب "أم دقيق"؛ ونصّ ذلك الآتي: «لا نشترك في العجن، يا أمّ دقيق كفى منك أنك أفسدت علينا حبات القمح الناضجة»¹⁷. وكذلك وصفها لعملها بالعبثي السيزيفي، والذي لا جدوى من تحقيقه وإنجازه؛ فهو بمثابة الشخصية الجامدة المثبّطة لعزائم الآخرين؛ وهذا ما نقرّوه في المقطوعة القصصية الآتية: «أنت تشقين نفسك بهذا العمل الذي لا جدوى منه. لقد خسرت حبات السنبل التي وضعتها في باطن الأرض. لو أردت الآن استرجاعها لما وجدت إلى ذلك سبيلا. ما دفعك إلى هذا العمل إلا طمع لا ثمرة له»¹⁸.

وبالتالي، فإننا نجد الشواهد القصصية السابقة قد أكّدت بوضوح قصد القاص في تعرية الخلق السليبي المقيت للأطفال الناشئة؛ ذاك أنّ الاستعلاء خلق مشين، وقد نصّت آيات القرآن وأحاديث المصطفى -عليه الصلاة والسلام- على عظم أثره ومنزلته؛ إذ لا يدخل جنان الرحمن من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، وسيظلّ المرء المتكبّر مقصى في دائرة مجتمعه حيث لا يجد طرفا أنيسا، أو صاحبا جليسا.

3. القيم الثقافية:

لقد ظلّ الإشكال المفهومي لمصطلح (الثقافة) حدثا نقديا متأزما ومتوتّرا داخل الخارطة النقدية العربية المعاصرة؛ حيث نمثّل لذلك بما ساقه الناقد (محمد صابر عبيد) في مناقشته لمسألة (الثقافة)، إذ لم يجد مناصا من طرح التساؤل الاستفهامي التعجّبي في شأنها؛ لأنّه يرى في مسألة تأطيرها هدفا ليس بالهين اليسير، وهذا ما يفهم من قوله: «إذا! ماذا عسانا نقول في معنى الثقافة وقد اشتبكت فيه الخطوط وتعدّدت المسارات على هذا النحو الذي يمكن الاطمئنان إلى نتائجه المتوقّعة أو المحتملة بسهولة ويسر، غير أن

نضعف بذلك من طاقة الحيرة (...)، ونحمل السؤال المائل في أفقنا عبئاً مضافاً في السبيل إلى جدل آخر غير قابل للتهديئة»¹⁹.

وفي ضوء هذا القلق المفهومي المؤطر لمسعى (الثقافة) فإننا سنركن إلى أحد تعريفاتها التي نراها الأنسب ضمن هاته الدراسة؛ حيث نلفي الباحث (حسين الصديق) معرّفًا إياها بقوله: «هي مجموع المعطيات التي تميل إلى الظهور بشكل منظّم فيما بينها مشكلة مجموعة من الأنساق المعرفية الاجتماعية المتعدّدة، التي تنظّم حياة الأفراد ضمن جماعة تشترك فيما بينها في الزمان والمكان. فالثقافة ماهي إلا التمثيل الفكري للمجتمع، والذي ينطلق منه العقل الانساني في تطوير عمله وخلق إبداعاته»²⁰.

وبناء على ذلك، فإنّ المهم في هذا النسق المحوري هو تلك الصور الثقافية التي نروم معالجتها في هاته القصّة والتي تتلخّص في الصورتين التعليمية والنضالية؛ إذ رأيناها مركبتين في هذا النص المدرّس؛ وخاصة أنّ المبدعين المشغولين على هذا الصنف الأدبي يرومون تثقيف الأطفال الناشئة، وحثّهم على القيم النبيلة، والتي تظلّ مرتكزات بنائية هادفة طيلة حياتهم.

1.3 الصورة التعليمية:

يعدّ التعليم منارة مستنيرة تضيء فضاءات الجهل المظلمة المعتمّة. كما أنّه الوسيلة الأولى المثلى لنقل الفكر والعلوم والمعارف إلى المتلقي الذي يجهد حقائقها ودقائقها في هذا الوجود.

ويمكننا القول إنّ الممارسات القصصية الموجّهة للطفل قد خصّصت للصورة التعليمية ركنا مهمّا داخل متونها؛ ذلك أنّ توجّه القصص للأطفال «غالبا ما يكون لها ارتباط وثيق بنوع أو بأخر من أنواع التعليم وبإمكانها أن تكون ناقلا مهمّا للمعلومات المتعلقة بالتغيّرات الثقافية في الماضي أو الحاضر. وبالفعل فإنّ تاريخ هذه القصص الطويل، وحقيقة أنّ الكتابة للأطفال تمتدّ عبر الثقافات النخبوية والجماهيرية والرسمية وغير

الرسمية، والمنزلية والمؤسسية وعادة ما تشتمل على عناصر بصرية؛ يعينان أن المواد الموجّهة للأطفال يمكن أن تكون مصدرا قيّما بشكل خاص للمعلومات التاريخية عن كلّ شيء، بدءاً ممّا كان يبدو عليه الأطفال في الماضي والظروف البيئية التي عاشوا فيها»²¹.

وتتّضح معالم هذه اللوحة التعليمية في مفتتح القصّة: إذ ارتأى القاص أن يقدّم للطفل معلومة تخصّ الحيوانات الأليفة؛ والتي اتخذ معظمها شخصيات مركزية لقصته ولعلّ القصد من ذلك تقديم صورة اطمئنانية هادئة له ممّا يجعله متشوّقا لأحداثها والتفاعل معها؛ وهذا ما دلّ عليه قوله: «أبطال هذه الحكاية اللطيفة، مجموعة طريفة كلّها من جنس الحيوانات الأليفة. أنت لا شك تعرف: ما هي الحيوانات الأليفة؟ إنك شاهدتها في القرية التي يعيش فيها أهلك أو في فناء البيت الذي أنت تسكنه مع أسرتك، أو في الحدائق العامة التي تزورها أحيانا في مدينتك»²².

ويستمر القاص في تمرير هذه الرسالة التثقيفية للطفل عن طبيعة العالم الحيواني بصنفيه (الأليف/المفترس)، متّخذا اللغة البسيطة الجميلة المعبّر عنه، فنراه قائلا في هذا الصدد: «هذه الحيوانات بطبيعتها تألف الإنسان، ولا تؤذيه والإنسان لا ينفر منها، بل إنّه يألفها، وينتفع بها الحيوانات الأليفة أجناس غير أجناس الحيوانات المفترسة»²³.

كما يستوقفنا خطاب تعليمي آخر، والذي ورد ذكره في سياق الحوار الذي دار بين الدجاجة الصغيرة الحمراء وصاحبها (الديك الرومي/البطة)؛ ونصّه الآتي: «قالت لهما: أنتما تريان: كيف أصبح القمح دقيقا. تمت مرحلتان أساسيتان هما: مرحلة الزرع ومرحلة الطحن. هناك مرحلة تالية، وهي العجن»²⁴.

ومن خلال هاته الأمثلة القصصية الثلاثة يتبين للقارئ مدى الحرص الهادف للقاص في تقريب المعلومات والبيانات التعريفية للأشياء والموجودات العينية للأطفال الناشئة المتلقين لخطابه: ذلك أنّ بلاغة القص لا تكمن في التجميل البياني أو الزخرف اللغوي بل في توصيل جوهر الفكرة البناءة الهادفة، عبر اللغة الميسّرة، والتي تلج إلى الفضاءات الذهنية للناشئة بشكل واضح مبسّط.

2.3 الصورة النضالية:

وردت الدلالة اللغوية لمفردة (النضال) في (المعجم الوسيط) وفق التعريف اللغوي الآتي: «ناضل عنه مناضلة ونضالاً وتَنَضَّلًا: حامى ودافع وتكَلَّم عنه بعذره. و- فلانا: باراه في الرَّمي»²⁵.

ولا يبتعد (معجم اللغة العربية المعاصرة) عن معنى الحماية والدفاع المتعاضدين مع مفهوم النضال، ولكنه يضيف له دلالات أخرى؛ من مثل: الكفاح، والجهاد والبذل، وهذا ما يوضِّحه المؤطر التعريفي الآتي: «ناضل عنه في غيبته: حامى عنه ودافع (...). ناضل من أجل الحرية: كافح وجاهد، وبذل وسعه»²⁶.

وتتأكد هذه الصورة النضالية الديناميكية والحيوية في هذا النص القصصي الموجه للأطفال في تلك العزيمة الصلدة لدى (الدجاجة الحمراء) لإتمام العملية الثالثة النهائية (العجن) وذلك بعد اجتيازها للعمليتين السابقتين (الزرع/الطحن). ولعلَّ هذا التفكير الناضج، والوعي المتوهج قد تکرَّس بثبات وقوة عندها بعد أن رسمت القصة تلك اللوحة السلبية القائمة التي كان بطلاها (الديك الرومي/البطة)، والذين اختارا التجافي والانفصال عنها وتركها غارقة في العمل لوحدها وهي القضية التي أشار إليها الشاهد السردى الآتي: «لا فائدة من نصح الجهلاء. لا بأس عليّ من امتناع الصاحبين عن معونتي في العمل. زرعت وحدي القمح ونجحت، ذهبت لطحنه وأفلحت. لا شكَّ أنَّ عملية العجن، أيسر عليّ من الزرع والطحن»²⁷.

وبخصوص الشاهد الآخر الدال على المبدأ النضالي عندها: فإنّه يتلخّص في تلك العزيمة والحماسة الموجهة إلى تحقيق الهدف؛ إذ ارتأى (كامل كيلاني) أن يصوّر جوانب مهمة من كفاحها؛ إذ أبرز لنا تهاوي الفأس على الأرض؛ وكذا تقليبها المستمر لها؛ وهو عمل يتطلّب جهدا كبيرا، وصبرا وجلدا طويلا؛ وهذا ما عبّرت عنه المقطوعة القصصية الآتية: «قوّت الدجاجة من عزمها، وعوّلت على نفسها. اشتدّت حماسها، لتنفيذ بغيتهما، مهما يكون

من صعوبتها. شرعت تضرب جوانب الأرض بالفأس، مرة بعد مرة. لم تترك كتلة من طين الأرض، إلا قلبتها وفركتها (...). كانت تقوم بذلك، مملوءة النفس بالأمل والاستثمار»²⁸.

وبهذا، فإنّ القاص كامل كيلاني قد استطاع عبر المثالين السابقين تأكيد أهمية البعد النضالي لتحقيق الهدف المنشود؛ ذلك أنّ التضحية تذكى عزيمة المرء لتخطي العقبات وفتح الجبهات الموصدة المستغلقة أمامه؛ فهي تجعله غير معترف بالشيء المستحيل؛ وبالإضافة إلى ذلك فإنّها تبعث في نفسه شهد الأمل في تحقيق الحلم المشروع.

4. خاتمة

في ختام قراءتنا النقدية لدلالات الأنساق القيمية بمظهرها الأخلاقي والثقافي في قصة (الدجاجة الصغيرة الحمراء) لـ (كامل كيلاني)، فإنّها نخلص إلى أنّ قيمة القيم مهمة للأطفال الناشئة؛ فهي التي تنبّي أفكارهم وهواجسهم، وتبني شخصياتهم؛ وهذا ما ركّز عليه القاص (كامل كيلاني) في قصته.

وبخصوص النتائج العلمية الختامية لهذه الدراسة النقدية، فإنّ فحواها الآتي:

- الكتابة القصصية الموجّهة للطفل صنف أدبي راقٍ في مضامينه الاجتماعية والثقافية والأخلاقية، وإنجاز لساني يأخذ بالصنعة الجمالية الأنيقة الأسرة لمتلقّيها.

- البعد الأخلاقي بنية مركزية في النصّ القصصي الطفولي؛ إذ يساهم في تكريس أساسيات التنشئة السليمة والقويمة للأطفال الناشئة.

- تنويه القاص (كامل كيلاني) للصورة التسامحية عند الشخصية المحورية (الدجاجة الصغيرة الحمراء) هو بمثابة تثبيت لهذه القيمة الأخلاقية الرفيعة، والتي ستكون مشعلا متوقداً للناشئة؛ لأنّها ستقودهم إلى الوفاق والإخاء والتلاحم فيما بينهم.

- ظلّ الحيّز الثقافي فضاء رحبا للكتاب في مجال أدب الطفل؛ وهي المسألة التي استثمرها القاص (كامل كيلاني) في هذا النصّ؛ حيث أبرز مكانة التعلّم، وروح النضال؛ لأنّهما يشكّلان نهج النجاح والانتصار.

- سعى القاص إلى إجلاء المظهر الخلقى البشع الدنيء؛ والمتمثل في الاستعلاء (الكبر)؛ وذلك عبر توصيفه الجمالي البديع لسماته عند الشخصيتين الفرعيتين ولكنّ قضيته تأكدت في الخاتمة النصّية للقصة، وذلك بعد استسلامها للأمر الواقع، ورجوعهم إلى دائرة الصواب؛ وذلك بعد أن قرّروا العمل جميعاً كلحمة واحدة لا تقبل التجزئة؛ ويظلّ -ههنا- التراجع عن الخطأ خيراً من التمادي فيه وبهذا استطاع (كامل كيلاني) أن يضع القاعدة الحياتية للناشئة والتي مقتضاها لا سعادة للمرء في انعزاليته وفردانيته وعنجهيته.

- أكّد القاص على البعد النضالي ضمن أحداث القصة؛ ذاك أنّه مؤشر قيمي ثقافي مهم ولأنّ الحياة لا تعبأ بالنفوس الخاملة الواهنة؛ بل تتطلّب أرواح مكافحة مستميتة غايتها الأسى تحقيق أهدافها. وبالتالي، فإنّه قد سعى إلى إيقاظ روح النضال عند الطفل؛ وذلك عبر تبشيره بمسك الختام؛ الذي أعلنته صراحة البطل المركزية حينما حققت حلمها بصناعة الخبز؛ وذلك عبر أشواط عملية كبرى اجتازتها بنجاح وسؤدد وفلاح.

5. قائمة المراجع:

- الجرجاني، الشريف، (2004)، معجم التعريفات، دار الفضيلة، مصر.
- الحديدي، علي، (1988)، في أدب الطفل، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر .
- الخراز، خالد بن جمعة بن عثمان، موسوعة الأخلاق، (2009)، مكتبة أهل الأثر، الكويت .
- رديف، سلطان، (2015)، الاستعلاء بالأسباب، <https://m.al-sharq.com>، 21 ديسمبر 2021، 14:00
- رينولدز، كيمبرلي، (2014)، أدب الأطفال -مقدمة قصيرة جدا-، تر: ياسر حسن، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة.
- زلط، أحمد، (1998)، أدب الطفل العربي، دار هبة، مصر .
- السلي، أحلام عتيق مغلي، (2019)، مفهوم القيم وأهميتها في العملية التربوية وتطبيقاتها السلوكية من منظور إسلامي، مجلة العلوم التربوية والنفسية، فلسطين، مج3، ع2 .

- الشحات، أحمد، (1988)، الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، مصر.
- الصديق، حسين، (2001)، الإنسان والسلطة، اتحاد الكتاب العرب، سوريا.
- عبيد، محمد صابر، (2013)، تجلّي الخطاب النقدي: من النظرية إلى الممارسة، منشورات الاختلاف، الجزائر.
- عمر، أحمد مختار، (1998)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، مصر.
- القاضي، هوازن عثمان علي، (2007)، قصص الأطفال في الأردن -دراسة فنية-، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن.
- كيلاني، كامل، الدجاجة الصغيرة الحمراء، مطبعة الكيلاني، القاهرة، مصر.
- اللبيبي، فائز صالح محمود، (2009)، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، العراق، مج 9، ع 2.
- مصطفى، إبراهيم وآخرون، (2004)، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر.
- أبو معال، عبد الفتاح، (1988)، أدب الأطفال، دار الشروق، الأردن.

6. الهوامش:

- ¹ زلط، أحمد، (1998)، أدب الطفل العربي، دار هبة، مصر، ص 34-35.
- ² رينولدز، كيمبرلي، (2014)، أدب الأطفال -مقدمة قصيرة جدا-، تر: ياسر حسن، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، مصر، ص 105.
- ³ أبو معال، عبد الفتاح، (1988)، أدب الأطفال، دار الشروق، الأردن، ص 7.
- ⁴ القاضي، هوازن عثمان علي، (2007)، قصص الأطفال في الأردن -دراسة فنية-، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن، ص 17.
- ⁵ المرجع نفسه، ص 12-13.
- ⁶ الحديدي، علي، (1988)، في أدب الطفل، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ص 88.
- ⁷ السلي، أحلام عتيق مغلي، (2019)، مفهوم القيم وأهميتها في العملية التربوية وتطبيقاتها السلوكية من منظور إسلامي، مجلة العلوم التربوية والنفسية، فلسطين، مج 3، ع 2، ص 82.
- ⁸ الشحات، أحمد، (1988)، الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، مصر، ص 20.

- 9 الجرجاني، الشريف، (2004)، معجم التعريفات، دار الفضيلة، مصر، ص 89.
- 10 الخزاز، خالد بن جمعة بن عثمان، موسوعة الأخلاق، (2009)، مكتبة أهل الأثر، الكويت، ص 22.
- 11 مصطفى، إبراهيم وآخرون، (2004)، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، مادة (سمح) ص 447.
- 12 اللهيبي، فائز صالح محمود، (2009)، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، العراق، مج 9، ع 2، ص 476.
- 13 كيلاني، كامل، الدجاجة الصغيرة الحمراء، مطبعة الكيلاني، القاهرة، مصر، ص 30.
- 14 رديف، سلطان، (2015)، الاستعلاء بالأسباب، <https://m.al-sharq.com>، 21 ديسمبر 2021، 14:00
- 15 كيلاني، كامل، الدجاجة الصغيرة الحمراء، ص 3.
- 16 المصدر نفسه، ص 10.
- 17 المصدر نفسه، ص 22.
- 18 المصدر نفسه، ص 14.
- 19 عبيد، محمد صابر، (2013)، تجلّي الخطاب النقدي: من النظرية إلى الممارسة، منشورات الاختلاف الجزائر، ص 48-49.
- 20 الصديق، حسين، (2001)، الإنسان والسلطة، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، ص 17-18.
- 21 رينولدز، كيمبرلي، (2014)، أدب الأطفال - مقدمة قصيرة جدا-، تر: ياسر حسن، ص 14.
- 22 كيلاني، كامل، الدجاجة الصغيرة الحمراء، ص 2.
- 23 المصدر نفسه، ص 2.
- 24 المصدر نفسه، ص 22.
- 25 مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مادة (نضل)، ص 929.
- 26 عمر، أحمد مختار، (1998)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، مصر، مادة (نضل)، ص 2227.
- 27 كيلاني، كامل، الدجاجة الصغيرة الحمراء، ص 24.
- 28 المصدر نفسه، ص 13.